اللغة العربية ومصطلحات الحضارة الحديثة

الأستاذ سليم طه التكريتي
بغداد

تمكف مجامع اللغة العربية منذ تأسيسها على استنباط كلمات عربية يصلح استعمالها فى لغة الضاد كمقابل للكلمات والمصطلحات التى أوجدتها الحضارة العالمية الحديثة ، مما لم يألفه العرب قبلا فى لغتهم ، وانماط حياتهم ، ولا سيما ما يتعلق بالمخترعات التى تتطور تطورًا سريعًا جدًا ، بحيث لا يستطيع العديدمن الأمم اللحاق بركبها .

وليس من شك فى أن الثورة الصناعية فى العالم، وما رافقها من مخترعات ، كانت وما تزال هى المصدر الأول لكل ما يجدّ فى ميدان المعرفة من مصطلحات وتعابير مستحدثة ، تفرض نفسها فرضًا على لغات الشعوب والبلدان التى تصل اليها تلك المخترعات، ذلك أن اختراع الآلات على اختلاف انواعها وطرق استعمالها من قبل الانسان ، قد يتطلب بالضرورة وضع أسماء لتلك الآلات ، وكيفية إدارتها واستخدامها .

ولقد سار العرب فى بداية احتكاكهم بالحضارة الحديثة ، ونزوعهم الى استعمال مبتدعاتها ، على نهج متباين فى استنباط أسماء تلك المبتدعات الحضارية .

وكانت وسائل النقل والاتصال ضمن المخترعات الحديثة التى اخذها العرب عن الحضارة الغربية . ولذلك كان الكثير من التسميات العربية لهذه الوسائل، عبارة عن ترجمة حرفية للأسماء والكلمات التى عرفت بها تلك الوسائل فى الغرب .

ولقد أمكن بفضل جهود عدد من المترجمين المتبحرين فى اللغة العربية، ومجامع اللغة العربية المنتشرة الآن فى عدة أقطار عربية ، وضع مقابلات عربية لمعظم المصطلحات المستعملة فى المجالات المستحدثة . ومع ذلك فاننا نرى أن بعض هذه المصطلحات او الاسماء العربية ، ليست دقيقة تماما . ولنأخذ على سبيل المثال جهاز « التلفون » فقد أطلق عليه فى العربية اسم « المسرة » و « الهاتف » . غير أن هاتين التسميتين، بالاضافة الى أنهما مجازيتان فانهما لا تعطيان المعنى التام والدقيق لكلمة « التلفون » المؤلفة اصلا من كلمتين معناهما : « نقل الصوت من بعيد » . ومثل هذا يقال ايضا فى كلمة « تلغراف » : التى حلت محلها كلمة « البرق » العربية .

وبالرغم من أن اللغة العربية لغة غنية فى مفرداتها ومعانيها ، فان أفانين الحضارة المعاصرة لا تزال غريبة عليها .

وعليه ، فانه من الأفضل أنْ نقتبس من لغة الحضارة الحالية ما لا وجود له أصلا فى اللغة العربية، لأن مثل هذا الاقتباس لا يمكن ان يضير اللغة العربيةفى شيء إطلاقا ، وهو فى الوقت نفسه أفضل من استعمال كلمات مجازية أو مقاربة فى معناها للكلمة الحضارية . ذلك لأنه لا توجد اية لغة فى العالم نقية خالية من كلمات غريبة دخلت عليها من اللغات الاخرى ، فأصبحت جزءًا منها ، وذلك هو شان التطور الحضاري فى كل العصور .

فلقد كانت اللغات الغربية والشرقية ، قبل إشراقة أنوار الحضارة المعاصرة ، خالية من الكلمات التى يمكن التعبير بها عن الصناعات والمخترعات والكشوف الحديثة . فالتعابير الحضارية التى نسعى الآن الى إيجاد تسميات عربية لها فى لغتنا العربية الراهنة ، قد دخلت بنفس الألفاظ الى اللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والاسبانية وغيرها، كما دخلت الى اللغات الشرقية الاخرى من هندية وفارسية وتركية وما شاكلها . فكلمة « التلفون » مثلا تستعمل الآنبهذا اللفظ فى كلاللغات الغربيةوالشرقية على حد السواء ، على الرغم من التباين الواسع جدا بين تلك اللغات .

يضاف الى ذلك أن العرب قد أثبتوا ابّان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية الكبرى ، فى العصرين الأموي والعباسي ، على اقتباس العديد من الكلمات الاجنبية التى أدخلوها الى لغتهم العربية من اللغات اليونانية والهندية والفارسية والبيزنطية وغيرها ، فأصبحت تلك الكلمات جزءًا من اللغة العربية.

وهكذا شاع فى الكتب العلمية والفلسفية والطبية التى ترجمت الى اللغة العربية وانتشرت انتشارًا هائلا فى كل الأقطار العربية الاسلامية فى المشرقوفىالمغرب استعمال العديد من تلك الكلمات الدخيلة من أمثال الفلسفة والكيمياء والسفسطة والأنولوجيا والأبوطيقا والريطوريقا والأرتماطيقى والزيج والأسطرلاب والقرسطون والموسطون والمالج وغيرها مما لا يمكن حصره بيسر .

والعرب فى عهد ازدهار نهضتهم،لم يروا بأساً من استعمال تعابير كثيرة أخذوها عن غيرهم من الأمم الاخرى ، لأنهم كانوا يعرفون — منذ ذلك الوقت — ان الحضارة ليست من صنع امة واحدة بذاتها ، بل هى نتاج البشرية جمعاء ، ولن كل ما تبدعه هذه الحضارة من تسميات مستحدثة يمكن إدخاله فى اية لغة من اللغات ، دون ان يضير ذلك اللغة التىاقتبست تلك التسميات ، أو ينقص من قيمتها ، أو يَحُطّ من اصالتها ومنزلتها بين اللغات الاخرى .

وما لنا نذهب بعيداً الى عصور الازدهار العربى الاسلامى ، وما حفلت به من فنون النقل والاقتباس عن الامم الاخرى ، ونترك التاثير العظيم والواسع الانتشار الذي أحدثته الحضارة العربية الاسلامية فى النهضة الاوربية ذاتها ، الامر الذي يعترف به أساطين العلماء والمفكرين والمؤرخين فى كل أنحاء العالم فى الوقت الحاضر .

فعندما بدات حركة النقل المعاكسة ، أي النقل من الكتب العربية الى اللغات الاوربية الشهيرة فى ذلك الوقت ، ولا سيما اليونانية والالمانية ، حافظ اولئك النقلة والمترجمون على آلاف مؤلفة من الكلمات العربية ، وتركوها كما هى فى اللغات التى نقلوا اليها علوم العرب وفنونهم .

فاذا ما راجعنا قواميس اللغات فى اي بلد أوربى الآن ، نجد أن تلك القواميس قد حفلت بما لا يحصى من الكلمات العربية فى ميادين الطب والبناء والفنون وغيرها من الكلمات العلمية والحضارية .

ففى اللغات الالمانية والانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية وغيرها من لغات أوربا المعاصرة نجد المزيد من الكلمات العربية التى مازالت تحتفظ حتى الآن بأصولها العربية ، على الرغم مما طرأ عليها من تغييرات طفيفة .

ترى ، هل وجد الاوربيون فى ذلك الوقت ، وهم على اشد ما يكون من التعصب لقومياتهم ولغاتهم ، ان إدخال الكلمات العربية فى لغاتهم القومية تمثل انتقاصا لهم وللغاتهم ؟

على العكس من ذلك ، وجد الاوربيون منذ القرن الخامس عشر ، وما بعده ، ان الحضارة الاسلامية هى مصدر تقدمهم وتطورهم ، فلم يستنكف حتى ملوكهم وامراؤهم من إرسال البعثات العديدة الى مراكز العلم والثقافة العربية فى المغرب وفى المشرق لينهلوا من مواردها صنوف الحكمة والمعرفة والمدنية . ولذلك كان اقتباسهم للكلمات والتعابير العربية وإدخالها فى لغاتهم القومية ، يعد فى نظرهم دلالة

على مساوقتهم للعرب فى تحضرهم ، ومن أسباب الفخر والمباهاة ، لان ما نقلوه من العرب كان من المصادر الاساسية لحركة النهضة « الرينسانس » التى بدأوا بها ، والتى تعاظمت خطورتها بعد قيام الثورة الصناعية فى أوروبا .

نخلص من كل هذا الى القول بأنّ علينا أنْ نخفف من حدة تزمتنا ، وأنْ نتعود استعمال المصطلحات الحديثة كما هى عليه فى اللغات الغربية، وذلك فى حالة عجز مجامع اللغة عندنا عن إيجاد مقابلات لها فى اللغة العربية تكون مطابقة لها كل المطابقة .

كما أنّ على مجامع اللغة العربية أنْ توحد جهودها فى وضع صيغ موحدة لهذه المصطلحات يلتزم بها المترجمون والمؤلفون والكتّاب ، وأنْ تعتمد لغة اوربية او اثنتين ، كالفرنسية او الانكليزية — باعتبارهما أكثر اللغات الاجنبية شيوعا فى الوطن العربى فى الوقت الحاضر — فى اقتباس هذه المصطلحات (*) .

وبذلك نكون قد توصلنا الى حل سهل ومناسب لهذه المشكلة المستعصية والتى أصبحت تهدد اللغة الموحدة لأمتنا العربية .

(*) تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بجهازها المتخصص (مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط) بعملية توحيد المصطلحات التى يقترحها الكاتب الفاضل وذلك عن طريق عقد مؤتمرات التعريب الدورية التى تشارك فيها جميع الاقطار العربية ومجامعها اللغوية ومؤسساتها العلمية والتربوية ، وهذه المؤتمرات تقوم بتوحيد المصطلحات العلمية طبقا لخطة شاملة (المحرر).